



الذات الإلهية الجليلة.. بالعقل والنقل

الأحد 2012/4/15 المصدر : الأنباء عدد المشاهدات 2960

بقلم : فيصل الزامل

(مثال).. قبل الدخول في الموضوع.. هناك من لا يجيد التعامل مع الكمبيوتر وسائر الأنظمة والبرامج الحديثة وبالكاد يستعمل الهاتف النقال، لو قال لك شخص من هذه الفئة «هذه الألعاب يضحكون بها عليكم، لا يوجد شيء اسمه تقنيات ولا برامج، كله سحر ودجل».. هكذا ببساطة تخلص من البحث والتنقيب عن المعلومات والتعرف على كيفية استعمال تلك التقنيات والإفادة من تطبيقاتها، رغم أن هذا المجهود البسيط الذي يحقق له منافع كثيرة ومع ذلك فهو لا يريد أن يبذله، وللتغطية على كسله يتقمص شخصية المغرور التي تمنحه شعورا بالتعالي الفارغ (هذا كله سحر ودجل).

بالمثل، هذا الخلق العجيب والحياة الزاخرة التي اختص الله عز وجل بها الكرة الأرضية من بين تريليونات الكواكب التي تهيم في الفضاء منذ بلايين السنين، كلها جرداء من كل أشكال الحياة التي تموج بها الكرة الأرضية في بحارها وبراريها وفضائها، فلو كانت هذه مصادفة فلم لم تتكرر هذه في واحد من تلك الكواكب التي لا يحصى عددها؟ الإجابة يعرفها من يقرأ وليس من يتهرب، ولهذا قال الله عز وجل (إنما يخشى الله من عباده العلماء).. حتى لو كانوا غير عارفين باللغة العربية، مثل آلاف الأجانب الذين يدخلون في هذا الدين يومياً، لأنهم يقرأون.

يعرّف علماء وكالة الفضاء «ناسا» الثقوب السوداء بأنها «منطقة ضغطت بشكل كبير تبلغ كثافتها 3000 مليون ضعف وزن الشمس، وهي تبتلع أي كوكب يقترب من مرحلة الانهيار بسبب جاذبيتها الفائقة رغم أنها غير مرئية ولهذا تسمى «السوداء»، وقد تحدث آينشتاين عن هذه الظاهرة ضمن نظريته النسبية عام 1915 قبل إثباتها بالمراسد الحديثة، وقد وصف القرآن الكريم هذه المرحلة (إذا الشمس كورت) ثم (يوم تطوي السماء كطي السجل للكتب، كما بدأنا أول خلق نعيده) وهي لحظة عظيمة الهيبة، تقبض فيها أرواح الخلائق جميعاً، وبعدها يقبض ملك الموت أرواح كل الملائكة، ثم يقبض الله جل جلاله روح ملك الموت فلا يبقى في الوجود سواه، فينادي جل وعلا (لمن الملك اليوم) فلا يجيبه أحد، فيقول جل شأنه (لله الواحد القهار، اليوم تجزى كل نفس بما كسبت، لا ظلم اليوم، إن الله سريع الحساب)، هذا القدر العلي للذات الإلهية المجيدة قال عنه تبارك وتعالى (وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه).

إنها ذات عظيمة الجلال، كل الخلق في صوان ملكه هكذا (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة)، ومن لا يتصور هذا فعليه أن يتذكر أن ضغطة زر كمبيوتر ترسل مادة مكتوبة بآلاف الصفحات لملايين البشر، ولله المثل الأعلى، هذه الذات الجليلة تلقينا وصفها بالنقل الذي لم يصل إلى البشرية بهذه الدقة كما في القرآن الكريم، وعرفنا ملامح عظمتها بالعقل «السليم»، ولا يضير هذه العظمة من يتغافل عنها كما يفعل العاجز عن معرفة التقنيات الحديثة، ولا حتى يزيد في عظمة هذه الذات العزيزة اجتهاد المؤمنين، فهو الغني عن الكل والكل محتاج إليه.. جلّ في علاه، فله الحمد التام والشكر الجزيل أن يسر لنا درب الإيمان وتكرم علينا من شواهد اليقين ما أراح القلوب، وزاد من الهمة في طلب رضاه، سبحانه وتعالى.

ملاحظة: لم تغفل العرب عن هذه الحقيقة (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم).. ولكن إفراطهم أوقعهم في الشرك فأبطل ذلك الإيمان (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى).. تأمل في وصفهم ربنا العظيم (العزيز العليم)، فهم أفضل حالا من آخرين!